المرجع الفكري لعلم جمال: مقاربات فلسفية لبنية الفن وتداخله

The Intellectual Reference of Aesthetics: Philosophical Approaches to The Structure And Interrelationship of Art

د.سعادي محمد ياسين

كلية الفنون والثقافة ،جامعة قسنطينة 3، mohamedyassine.saadi@univ-constantine3

مخبر الفنون والدراسات الثقافية – كلية الأداب واللغات – جامعة تلمسان.

تاريخ الاستلام: 2024/02/25 تاريخ القبول: 2024/04/04 تاريخ النشر: 2024/06/29

ملخص:

ليست العبرة في النقد الجمالي للموضوع شيئا خارجيا، ولا بالفكرة باعتبارها مجرد فكرة، وإنما العبرة بما صار إليه الموضوع أو الفكرة، بعد أن سيطر عليهما العالم والمفكر أو الفنان، وبعد أن إنصهرتا في ذات الفنان والعالم وبعد أن تحولتا الفكرة والموضوع إلى فن، فلكل موضوع وكل فكرة ليست إلا مجرد مادة من المواد الخام التي تتحول عند تناولها إلى شيء جديد، فالفكر هنا يأتي بما هو جديد في عملية الإبداع يتعلق الأمر هنا بفكرة الجمال المنطقية لا تعود تكفينا، فنحن نريد أن نعرف هذه الفكرة معرفة أعمق وأكثر عناية لأن غياب المضمون في الفكرة العقلية، ما عاد يسد حاجات عصرنا الفلسفي الغني والثري، وسوف يتوجب علينا نحن أيضا في أرجح الظن، عند تناولنا لفلسفة الفن، أن نجعل من فكرة الجمال نقطة انطلاقنا، وليس بدعاً أن نجد الإنسان يتخذ نقطة إنطلاقه من الجمال الفكرة باعتباره كذلك، فإن نزعته المثالية المطلقة هي التي أملت عليه البدء بالفكرة أو المدرك الكلي، بدلاً من الانغماس في غمرة الظواهر أو الجزئيات التي إعتدنا وصفها بالجمال أو غير ذلك من العلم.

كلمات مفتاحية: الفكر، الجمال، الفن، التداخل.

Abstract:

The lesson in aesthetic criticism of the subject is not something external, nor the idea as just an idea, but the lesson of what the subject or idea became, after they were dominated by the scientist and The Thinker or the artist, and after they fused into the same artist and the world and after the idea and the subject turned into art, for every subject and every idea is nothing but a raw material that turns into something new when addressed, the thought Here Comes Up with what is new in the creative process, it's about the logical idea of beauty is no longer enough for us, we want to know this idea deeper and more carefully because the absence of the content of the mental idea no longer meets the needs of our rich and rich philosophical age, and we will also have to It is most likely, when we deal with

the philosophy of art, to make the idea of beauty our starting point, and it is not for nothing that we find a person taking his starting point from the idea of beauty as such, it is his absolute idealistic tendency that dictated him to start with the idea or the total cognizer, instead of plunging into the immersion of phenomena or particles that we used to describe as beauty or other science.
Keywords: Thought, beauty, art, interweaving.

المقدمة :

سعى الإنسان إلى محاولة البحث عن الجمال بغض النظر عن الصور المحسوسة، والجزئيات الظاهرة في الأعمال الإبداعية، إنما يشبه إلى حد كبير موقف الفنان المثالي الذي كان ينزع إلى البحث عن الجمال بالذات، وقد عبر عن هذا حين بين أن الأشياء المحسوسة يكمن أصلها في ُالفكرة ، لأن الفكرة تؤكد ذاتها، وتخرج إلى حيز الوجود بواسطة هذه الأشياء أو الأشكال، ولهذا فإن الأشكال الفنية تختلف وتتنوع تبعاً لإختلاف ُالفكرة ُالكلية، بمعنى أن إختلاف الأشكال الفنية خلال الحضارات ينتج أساساً من إختلاف الفكرة الكلية التي تعبر عنها هذه الأشكال، ومادامت ُالفكرة هي التي تسبغ على الشكل الخارجي المدلول الداخلي، فالمضمون لابد أن يكون حقيقياً وعينياً في ذاته ، قبل أن يتمكن من العثور على الشكل الذي يناسبه.

يجب التذكير فوراً ليكون مايلي مفهوماً، بأن ُالفكرة بكونها الجميل في الفن ليست هي الفكرة بكونها الجميل في العلوم الأخرى، وإنما ُالفكرة في النطاق الذي تصل فيه إلى ُصورة للواقع وتعطي مع هذا الواقع وحدة ملائمة بشكل فوري، ولكن الفكرة بكونها الجميل الفني هي ُالفكرة المزودة بالتحديد الأكثر دقة بأن تكون واقعاً فردياً بشكل جوهري على حد سواء، وبالتالي يتم التعبير هنا عن الحاجة بأن تكون ُالفكرة و ُشكلها الخارجي كواقع ملموس قد أصبحنا مناسبين لبعضهما تماماً .

فالفكرة المفهومة على هذا الشكل بأنها واقع متصور بتطابق مع مفهومها فكلما كانت الأعمال الفنية ممتازة بهذا المعنى كلما كان محتواها وفكرتها لهما حقيقة داخلية عميقة، بهذا

نقول على ألسنة النقاد، إن الحاجة الكلية للفن هي حاجة الإنسان العقلية ليرفع العالم الباطني والخارجي إلى وعيه الروحي في شيء يتبين فيه نفسه من جديد، أن يتبين الإنسان نفسه من جديد هذه هي رسالة الفن ووظيفته، فبهذا تسخر الحضارات وترقى لمفهوم الملكة النفسية التي خلقت العقل وصنعت الفن.

الإشكالية :

الأساس الذاتي للتقبل أن الفكر جمالي هو يتمثل في إرتباط هذا التقبل بالتصور الموجود حول الكمال المستجوب لبعض الأسئلة التي نطرحها في هذا البحث حتى تكتمل الصورة التي بنيت عليها المقدمة، ولهذا نرى أن نطرح بعض الإشكاليات التي تستدعي البحث وتجعله في قمة الدراسة المنطقية :

- ماهي الملكات النفسية العقلية التي تساغ على شكل عناصر للجمال؟
- هل الفكر عنصر جمالي ؟
- ماعلاقة الفكر بالجمال أو الفن خاصة ؟
- ما لفرق بين الفكر العلمي والفكر الفني ؟
- هل الفكر تبنَي به الحضارات ؟

لهذا الصنف من الظواهر أو ذاك، التصور الذي يتكون لدى الإنسان من خلال تجربته بما في ذلك تجربة تعامله مع القيم الجمالية وكذلك من خلال التفكير ويؤدي هذا الترابط بين التفكير والأحاسيس، ليس هنا ما نقصده بث الروح في المادة الصماء الجامدة ففيه تقترب الصورة من المضمون الذي نتكلم عليه ، ومن هذا المنطلق نصوغ بعض

الفرضيات :

- يعتبر مصطلح ´عنصر الجمال` لاربما لم يتكلم فيه أحد من قبل، ماجاء على ألسنة المفكرين والفلاسفة والعلماء على أنه هيكل ضروري في العملية الجمالية من

تناسق أجزائه لكي لايمسها إنهيار بنيوي وتكتمل صورتها، يجب تحديد هذا المفهوم والعمل عليه من وجهة نظر خاصة .

- التعبير عن الجمال يقتضي علوه عن الطبيعة و الواقع، فالفن ليس تقليداً أو محاكاة للطبيعة على حد ما يذهب إليه بعض النقاد بل هو محاولة لكشف المضمون الباطني للحقيقة، فإذا كان ذلك فيصبح الفكر تقليداً ولا يأتي بالجديد والإبداع.

ويبقى **الهدف من هذه الدراسة** الكشف عن الملكة النفسية العقلية التي تبنى عليها حضارة الإنسان ونقصد بالملكة النفسية ´الخيال` و´الفكر` و´الإحساس`، وبهذا تتطور العلوم وتزدهر المعارف التي نحن بقصد البحث عنها منها الفكر الذي وضع أساس أي علم في هذا الكون ونسجه وأتمه بمعنى الكلمة، أي كيف يتجلى الفكر العلمي من الفكر الفني وتتضح الصورة أكثر،لأن ماجأت به هذه الدراسات قليلة في مجال الفن .

يبقى هذا البحث في تطلعات الدراسات الفنية وغيرها من البحوث وهذا ما أتبعناه من منهج تحليلي ومنهج وصفي، كل هذا من أجل أن تتبين بعض المعارف والمفاهيم والمعلومات التي تخوض في غمار عِلمٍ أسمه علم الجمال .

أولا: ماذا عن فكر الجمالي؟.

يعطى للعمل الفني قيمته، "بل إن القيمة الجمالية للعمل الفني هي تلك القيمة التي تشع من كيان العمل ككل، من علاقات عناصره، تلك العلاقة الجدلية التي لا ينفصل فيها عنصر عن آخر، بل يؤثر (في)ويتأثر (بـ) الأخر، ويشكل مع مجمل العناصر وحدة العمل الفني"[1]، فعناصر الجمال لها علاقة بالقيم، سواءاً كانت قيم جمالية تبدو في الشكل الظاهر أو الباطن، يقول"‹هيرت: هربرت هارت› (H. L. A. Hart) (1907 – 1992): إن العناصر المكونة للجمال، بمقتضى وجهة النظر تلك هي من نسقين:عنصر باطن هو المضمون وعنصر خارجي يفيد في الدلالة على هذا المضمون وفي تمييزه، فالعنصر الباطن

يظهر في الخارجي فيعرف عن نفسه من خلاله والخارجي يزيح النقاب بدوره عن الباطن ويكشفه لنا"[2]، فالعنصر الباطن هنا يقصد بالملكة النفسية لدى الإنسان سواءاً كان عالماً أو فنان أو فيلسوف، والملكة النفسية هي بمقتضاها الخيال والفكر والعاطفة .

ونتابع‹جورج فيلهلم فريدريش هيغل›:(Georg Wilhelm Friedrich Hegel)(1770-1831): في كتابه«المدخل إلى علم الجمال» "مفهوما للجمال لابد أن يتفتق ويتفتح في كلية من التعينات وسواء أنظرنا إليه في ذاته أم في ´العناصر `التي ينحل إليها، نلحظ تلازم ذاته أو ´عناصره `مع ضرورة خصوصياته وضرورة تطورها ومبادلاتها فيما بينها"[3]، فالجمال يمس العقل في حد ذاته ويمس مايقدم هذا العقل من عمل أو إبداع أو إبتكار يجمع في أدب أو خطابة أو عمارة أو مسرح أو سينما ... بإعتبارها كلها فنون أو أعمال إبداعية، ناهيك عن العلوم الأخرى .

وفي خضم الجدل القائم في نظريات علم الجمال كانت للفيلسوف الجزائري ‹الربيع ميمون› مساهمة أكاديمية جديرة بالاطلاع عليها، ذلك لأنّ الدكتور‹ ميمون › يجمع بين البحث العلمي الرصين والنزعة الصوفية المتعالية عن الحدود، والمعترفة بخصوصية الإنسان الجزائري من جهة، ومن جانب آخر يؤكد أنّ البحث في القيم ضرورة لا بد منها، وليتوصّلَ إلى موقف وسط في تعريف عنصر الجمال "ويرجع هذا الإختلاف في تعريف الجمال ظاهراتياً إلى شتات الأشياء التي يمكن أن تؤثر على حاستنا الفنية، فنحن لا نستطيع أن نعرف ما الذي يفتننا فيما تتلقاه حواسنا فترتاح له وتسعد به، ولا نستطيع أن نقول عنه: أنه هذا العنصر أو ذاك لأن كل ما ذكره الفلاسفة قواماً للجمال لا يكون قواماً له بصفة مطلقة، ولذلك يظهر لنا تعريفه بآثاره في نفوسنا أكمل تعريف له وأقواها"[4] وبهذا التعريف يمكن أن نفهم العنصر الجمالي على أنه القوام أو السند الذي يشير عمومًا إلى المعايير أو القواعد التي يتم استخدامها لتحديد ما هو جميل أو جذاب من وجهة نظر الفنان والمشاهد أو المتذوق ويتفق معهم الناقد الفني، إذن يساعد العنصر الجمالي في الفن على جذب انتباه

المشاهدين وجعلهم يتفاعلون مع العمل الفني، سواءً عن طريق التأمل في الجمالية الظاهرة أو التأمل في الأفكار والمشاعر التي يثيرها.

- **اعتبار الفكر كعنصر جمالي :**

"لكل فكر بُعده الشعوريّ والعاطفيّ وإمتلاك أي فكر لعُنصر قوّة في هذا المجال يعتبر إمتيازاً على درجة من الأهمية، و ´الفكر ` الذي يملك ´عنصراً جمالياً`أكثر هو الذي يكون أكثر حظاً في إمتلاك عنصر القوة هذا؛ لأن الشعور والعاطفة أمران تابعان لهذا´العنصر الجمالي`، ولذا كانت ملاحظة البعد الجمالي لفكر ما أمراً أساسياً، ونظرًا إلى كون زيادة ´العنصر الجمالي`تتوقف على معرفة هذا العنصر لانجد بأساً بالتعرُض بشيء من التفصيل لهذا الأمر"[5]، كذلك توجد عناصر أخرى مثل الخيال والإحساس هاته عناصر كامنة في الملكة النفسية لأي إنسان، صحيح الفكر يمثل عنصراً جمالياً هاماً في الفن عبر التفكير العميق والإبداع، يمكن للفنانين تقديم رؤى جديدة وتجارب معقدة للمشاهدين الفن ليس مجرد تمثيل للجمال الظاهر، بل هو أيضاً وسيلة للتعبير عن الأفكار والمشاعر والتجارب البشرية.

من خلال ماتقدم يمكن تعريف´الفكر`الذي يتمتع بمقاييس جمالية أكثر في الدراسات العالمية هو الذي يكون أقرب من ناحية الشكل والمضمون إلى المصاديق الجمالية، ومثل هذا´الفكر`سوف يجذب وبشكل طبيعي أهل الفن والذوق؛ لأن موضوع إهتمام هؤلاء هو الجمال، ولذا يُشكل حجم مايُصنف من كتابات أدبيّة أو نشاطات فنية مؤشراً لتحديد البعد الجمالي´لفكر ما`، ولتحديد ميزان إمتلاكه للبعد الشعوري والعاطفي.

لأن العقل يبدي نشاطاً لا يعرف الكلل من أجل إشباع الحاجة الجمالية وهي الإعلان عن ´فكره` في ´الخارج` بواسطة ظاهرات طبيعية وكأنه يعالج هذه الظاهرة ويكيفها ليصوغ منها أغراضاً تلامس الواقع الجمالي وتلامس الفن الإبداعي حيث تكون الصورة الذهنية في خيال

العقلي ثم تصاغ الصورة الذهنية إلى الواقع في الفكر ثم تجسد في عالم محسوس وهو الموضوع الفني، وهذا دليل بأن عنصر الفكرة مرتبط بعنصر المحسوس الخارجي.

"إن قيمة العمل الفني تأتيه من إتحاد أجزائه، وإذا كان ثمة قوانين للعمل الفني فهي قانون العبقرية، لا القانون المفروض على الفنان من الخارج، إنه قانونه الخاص الذي يستطيع أن يطرق به أفضل السبل لتحقيق أهدافه"[6]، في الفن يكون الفكر والشكل الخارجي مترابطين بشكل وثيق حيث يتعاونان لتشكيل العمل الفني بأكمله يستخدم الفنان الشكل الخارجي للتعبير عن الفكرة أو الرسالة التي يريد إيصالها يختار الفنان الألوان والأشكال والتركيبات والخطوط التي تناسب وتعبر عن فكرته بشكل ملموس يمكن للشكل الخارجي للعمل الفني أن يثير ردود فعل عاطفية وفكرية معينة لدى المشاهدين على سبيل المثال، توجد بعض الأشكال الهندسية التي قد تثير الهدوء والانسجام، بينما توجد أشكال أخرى قد تثير القلق أو التوتر، وكذلك يؤثر السياق الثقافي والتاريخي على كيفية تفسير المشاهد للشكل الخارجي للأعمال الفنية وفهمها يمكن أن يتغير معنى شكل معين حسب الثقافة والزمان الذي يظهر فيه يمكن أن يكون الإبداع في تصميم الشكل الخارجي جزءاً من الفكرة الأساسية للعمل الفني على سبيل المثال، وقد يستخدم الفنان تقنيات تصميم جديدة أو يخترع أساليب جديدة للتعبير عن أفكاره بشكل عام يعمل الفكر والشكل الخارجي معًا في الفن لخلق تجربة شاملة ولإيصال رسالة معينة إلى المشاهدين بطريقة فنية وإبداعية.

"وحتى يرتفع الفن من عالم الإغتراب إلى عالم الروح والإنسانية يلجأ الفنان لا إلى مشاعره وأحاسيسه بل إلى عقله على أساس أن العقل فاعلية لا لتقاط الجوهري والإرتفاع على فجاجة الواقع، وحتى ´الفكرة` التي لا نفع منها والتي تدخل رأس الإنسان أرقى من نتاج الطبيعة ففي هذه الفكرة تتبدى دائماً الناحية الروحية والسحرية، والفن هو نتاج العقل ويمكننا أن نضيف أنه العقل المفكر"[7]،أي بهذا يمكن القول بأن العناصر الجمالية الكامنة في الملكة

النفسية ليست الفكر وحده بل هناك الخيال والإحساس ،ولكن يبقى الفكر هو الأساس لأنه يصوغ الصورة الذهنية الخيالية إلى واقع ملموس .

- **مقاربة بين الفكر العلمي والفكر الفني :**

" كما يقول‹جون ديوي› (John Dewey)(1859-1952): بلغة العلاقات القائمة بين الكيفيات [Qualities] ولماذا لا نقول إن التفكير الفني أصعب بكثير من التفكير العلمي ، لأنه تفكير بلغة العلاقات القائمة بين الكيفيات في حين أن التفكير العلمي تفكير بلغة الرموز ، سواء أكانت لفظية أم رياضية، ولما كان من السهل التعامل بالكلمات والتصرف فيها بطرق آلية فإنه لمن المحتمل أن يتطلب إنتاج العمل الفني الأصيل من التفكير والتأمل والنشاط الذهني أكثر مما يتطلبه الجانب الأكبر مما نسميه في العادة باسم التفكير العلمي"[8]، الفكر الفني غالبًا ما يكون قائمًا على عنصر الخيال والإبداع والتعبير الشخصي أي يركز على التجربة الفردية والتعبير عن المشاعر والأفكار بشكل فني، أما الفكر العلمي يعتمد على المنهجية العلمية والدقة في البحث والتحليل يهدف إلى فهم الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية من خلال الدراسة والتجريب والتفسير، الفكر الفني يسعى إلى إثارة العواطف والتفكير والتأمل ويهدف إلى تعزيز التجربة الجمالية والإنسانية، بينما الفكر العلمي يهدف إلى فهم وتفسير الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية ويسعى لاكتساب معرفة موثوقة ومفهومة عن العالم من حولنا التعبير والإبداع ونرى في الفكر العلمي أنه يسعى الباحثون إلى التعبير عن النتائج والاستنتاجات بطريقة دقيقة ومنهجية مع التركيز على الدقة والوضوح والتكرار، في الفكر الفني قد يكون التركيز على التجربة الشخصية والفردية أكثر من التحليل العقلاني وقد يكون التفسير مفتوحًا للعديد من التفسيرات.

ثانيا: قراءات مرجعية لآلية التداخل الفلسفي:

- **العقل كعنصر جمالي ثابت لدى أفلاطون (باللاتينية: Plato) (عاش 427 ق.م – 347 ق.م):** "يقول تصبح قيمة الفن رهناً بمسايرة الفن لصوت العقل السليم، والنازع الأخلاقي في حياة اليوناني، يقول ‹أفلاطون› في «الجمهورية» إن البيان البديع والوزن الصحيح والإيقاع يتوقف تماماً على الطبيعة الصالحة ويقصد بها العقل السليم، ذلك لأن البساطة والجمال واللحن والإيقاع هي من عمل العقل السليم، وهي ماتتجلى في السجية الأدبية، أما فقدان هذه الأشياء فتشير إلى الأسلوب الفاسد والخلق الردئ" [9]، يعني إن وجد الفكر وجد التناسق والنظام، والجمال الحقيقي ُالثابت ُوراء ُالمتغيرات ُهو جمال مطلق واحد يدرك العقل حقيقته، وأما ماتراه العين فإنه من صور الجمال المنقول عن الأصل، وهذا هو عمل الفنان أن ينقل عن الأصل ويقلده وهو بذلك يقلد التقليد أي يحاكي المحاكاة .

فإذا كنا نريد أن نعرف ما الجمال طبقاً لطبيعته ومفهومه، فلا وصول لنا إلى ذلك إلا بواسطة الفكر المفهومي القادر وحده دون غيره على تسليط ضوء الوعي على الطبيعة المنطقية – الميتافيزيقية للفكر بوجه عام ولفكرة الجمال بوجه خاص، وهذا يعني أنه يرجح الفكر كعنصر جمالي وهو يجعله سمة من سمات الجمال فبدونه لا نستطيع تميز الجمال .

- **الفكرة كعنصر جمالي لدى أرسطو (Aristotélês) (384 ق.م – 322 ق.م):** "ولهذا ينص ‹أرسطو› على أن الفن لابد أن ينطلق من الفكرة : سواء أكان الموضوع قديماً طرحه آخرون أم كان من إبتداع الشاعر نفسه فإن عليه أن يحدد أولاً ُالفكرة ُ العامة وبعد هذا فقط يؤلف الأحداث الفرعية ويبسطها، ولهذا قيل أن فنان الأفكار وحده هو سيد الفنون الجميلة الحقيقي" [10]، فبهذا نرى العقل والفن متلازمان أي الفكر يمس الشكل الخارجي بينما الخيال يمس المضمون والقيم الجمالية، فالعملية الجمالية تبدأ من الخيال ويسوغها الفكر حسب الواقع، بنفاذ شديد إستطاع ‹أرسطو› أن يربط بين الفن والعقل،

فجوهر الفن الفعل الذي يكمل ما تعجز عنه الطبيعة والفن بهذا قدرة على العمل ويهتم بإبراز مايأتي إلى حيز الوجود من الغايات إستناداً إلى تصميم العقل.

- **الفكرة كعنصر جمالي لدي ‹جورج فيلهلم فريدريش هيغل› (Georg Wilhelm Friedrich Hegel (1770-1831):**

"يكفي بالنسبة لنا أن نقول أن ´الفكرة` هي جانب التصور على نحو واضح، ولسنا معنيين هنا بتوحيد ‹هيجل› بين الجانب التصوري للعمل الفني مع المطلق ففي إستطاعة القارىء أن يعتنق أي وجهة ترضيه عن المطلق عند ‹هيجل›، وأن يأخذ مايرضيه من نظريات المطلق والنظريات المثالية عن العالم بصفة عامة، فالمهم هو أن الحقيقة التي تكمن خلف أستطيقا ‹ هيجل › حتى إذا رفضنا المطلق عنده وكذلك ميتافيزيقاه المثالية هي أن الجمال هو بطريقة ما تركيبة عضوية بين العناصر الإدراكية والعناصر التصورية، تعتبر هذه الحقيقة الأساس في الأستطيقا العقلية" [11]، فالجمال عنده هو حر ليس مقيد وبالتالي فهو يطلق العينان للجمال الفكري فليس شيء يقيده من ناحية العقل، فالجمال المصطنع يعتبره مقيد كالفن والصنعة وغيرها .

"ندرك الجمال بنظر‹هيجل› هو الفكر المطلق، وعلى هذا الأساس حدد ‹هيجل› الجمال بأنه الفكرة المطلقة أو الروح المطلق وهكذا يعتقد ‹هيجل › أن لا وسيلة لإدراك الجمال إلا بالروح لأن ماهو روح لايدرك إلا بالروح، إذن لايكون الشيء جميلاً إلا بقدر ماينطوي على الروح وعلى هذا الأساس إستبعد ‹هيجل› الطبيعة من موضوع علم الجمال وقصره على دراسة الفنون الجميلة إعتقاداً منه أن الطبيعة لاتنطوي على الروح المطلق"[12].

"هذا بقوله أن العقل والعقل وحده قادر على الحقيقة ويستوعبها في ذاته حتى ان مايكون جميلاً لايكون جميلاً حقاً وحقيقياً إلا بالمشاركة في هذا ´العنصر` الأرقى"[13].

فالفكرة عندما تنفصل عن المحسوس تصبح فكرة رديئة في العمل الفني، وليست فكرة العمل الفني ذاته والفكرة بهذا المعنى تكون بمثابة الأسلوب التعبيري الذي به يظهر ويتجلى المحسوس، يقول الجمال ليس سوى تحديد خاص يتم به التعبير عن الحقيقي وينكشف لنا ،

والجمال عنده هو ´فكرة الجميل` وبهذا التعريف نتصور الجميل على أنه ´الفكرة`، بل الفكرة في شكل محدد هو المثالي، وهكذا يعقد ‹هيجل› قراناً بين الجمال والعقل ومن هنا فإنه يمكن تعريف الجميل بأنه المماثلة الحسية للفكرة.

والتفكير على حد قول ‹هيجل› هو بكل بساطة توفيق بين الحقيقة والواقع في الفكر، فالجمال هو الفكرة حينما تدرك في إطار حسي، وحين تدركه الحواس سواء في الفن أو في الطبيعة ، أما الحقيقة فهي الفكرة حين تدرك في ذاتها، أي بوصفها فكرة خالصة، الفن هو الإنكشاف المحسوس للفكرة ،والفكرة هي التجسيد، والتجسيد المحسوس هو الشكل وقيمة أي فن إنما تتحدد بمدى الملائمة الشكل المحسوس للفكرة التي يجري التعبير عنها، فالشكل يعتبر عنصر جمالياً كذلك إذا ما إمتدا هذا المفهوم بين الفكرة والشكل، وتقاس هذه الملائمة بمدى القدرة على التجسيد في التعبير عن الفكرة وبطبيعة النسيج المادي الذي يشترك في ذلك التعبير، وهذا بإعتبار التعبير أو المضمون عنصر جمالياً أساسياً هذه العلاقة الثلاثية لعناصر الجمال (الفكرة والشكل والمضمون) علاقة لها تركيبة خاصة لمفهوم توطيد الجمال الذاتي والمحسوس أي الموضوعي .

- **الفكر كعنصر جمالي لدى‹آرثر شوبنهاور› (Arthur Schopenhauer)(1788-1860) :**

"في رأي ‹ آرثر شوبنهاور› فكلاهما نتاج ذكاء خلاق، ينصهر فيه العقل والخيال والحس والحدس، أما تباينهما فمسألة تركيز فالعملية الجمالية يقودها العقل المتخيل أما العملية العلمية فيقودها العقل المجرد"[14]،بينما الحدس والإدراك هما أدوات مساعدة للفكر الذي يعتبر عنصر جمالي للعملية الإبداعية .

واجبنا الآن أن نستعرض ´العناصر` المختلفة التي يتألف منها وعينا بقصد الوقوف على الدور الذي يلعبه كل منها في إبراز الجمال في العالم، وسنجد أنها جميعاً حينما تخدم´

الإحساس` بالجمال تكون دائماً مرتبطة إرتباطا وثيقاً بالنشاط ´الفكري` الذي يحيل عناصر الوعي إلى موضوعات ذات´وجود خارجي`، ونقصد بستعراض العناصر الجمالية الخيال والفكر والموضوع .

- الفكر عنصر من عناصر الجمال لدى «ديفيد هيوم» (David Hume) (1711 - 1776):

"نذكر منها على سبيل المثل فلسفة «هيوم» والمدرسة التجريبية، فقد قرر «هيوم» أن الجمال ليس صفة في الأشياء ذاتها بل هو ´فكرة ` تخلعها الذات على الموضوع" [15]، فهمزة الوصل بين الروح والعمل الفني هو الفكر فإن لم يتم إستخدامه جيداً فلا ربما كان هناك تشويه لذوق المشاهد وتشويه للعمل الفني من ناحية الشكل والمضمون، وهذا ماحدث في بعض التيارات والمدارس الفنية التي سيطر فيها عنصر جمالي على أخر وكانت التجربة والنظرية الجمالية فانية ولم تدم طويلاً.

"أن تأمل الأثر الفني يولد في مخيلتنا أفكاراً وإنفعالات تتسلسل وفق قانون تداعي الأفكار ، إذن يوجد توافق بين مبادئى العمل الفني وبين الروح: العمل الفني لايقلد في الحقيقة الأشياء بل يقلد فقط علاقاتها، هذه العلاقات ليست في الواقع سوى من عمل الروح، وهي تعبير رمزي عن نشاطاته، وإذا كان العمل الفني أميناً لهذا المبدأ كان جميلاً" [16].

- الفكر كعنصر جمالي لدى«وليم جيمس»(William James)(1842-1910) :

"وحينما عرف « وليم جيمس» العبقرية بقوله إنها القدرة على إدراك كل شيء بطريقة مغايرة تماماً لما درجت عليه العادات المألوفة، فإنه كان يشير بذلك إلى عنصر الجُدة الجذرية(الجُدَّة :جُزْءُ الشيءِ يخالف لونُه لونَ سائره) في الإنتاج الفني بوصفه عملاً فريداً يشذ على كل قاعدة ويخرج عن كل قانون "[17].

تحتاج العبقرية إلى تعريف يتميز بقدر من الدقة لأن العبقرية مصطلح شديد العمومية يطبق لاعلى الفنانين بل أيضاً على عامة الناس وهنا يجب أن ندرس جوانب منها ´الفكر` والخيال .

- **جمال العبقرية لدى‹إيمانويل كانت› (Immanuel Kant) (1724 – 1804)›:**

"فالعبقرية (الفكر) مسؤولة عن المضمون، و´الذوق` مسؤول عن´الشكل`ولكن في الوقت ذاته تجد العبقرية نفسها مرجعة إلى´التخيل`و´الذوق`الذي أكتسب صفة ذهنية يرتبط بشكل حميمي بالفهم وتختفي من الأفق الفني معا الغائية بدون غاية نوعية وحكم الذوق"[18]،هنا يحدد ملكة الفهم بالخيال والفكر والذوق ويجعل أولها الفكر الذي يحدد الشكل النهائي للعمل الفني .

"ويقارن ‹كانط› بين العبقرية والموهبة مستشهداً بالمقارنة بين العلم والفن فهو يقول إن العبقري يمكن أن يوجد في الفن فقط ولا يخضع لأية ضوابط وهو ذاته لايعلم ماذا يبدع وكيف يبدع وينبغي أن يكون نتاجه نموذجاً للمحاكاة"[19]، يقصد بالعبقرية بالفكر ويقصد بالعلم هي الضوابط الخارجية التي يتلقاه العقل من الوسط الخارجي كعلم الظواهر.

يقول ‹كانت› أيضاً أن الجمال هو مايمكننا أن نتمثله خارج أي مفهوم خارج أي مقولة من مقولات ´ملكة الفهم`، بإعتباره موضوعا للذة عامة، ولتقدير الجمال حق قدره،لابد من إمتلاك عقل مثقف، فالإنسان بما هو كذلك عاجز عن صوغ حكم بصدد الجميل على إعتبار أن هذا الحكم لابد أن يكون ذا صوابية شمولية، صحيح أن الشمولي بما هو كذلك تجريد وذلك أمر لامراء فيه، ولكن من حقه بحكم ذلك تحديداً، أن يطمح إلى صوابية عامة صوابية يحمل في ذاته تعينها وهذا مع وجود غائية الجمالية.

"والعبقرية هي الملكة الطبيعية التي تملي على الفنان قاعدتها وهذه العبقرية هي بمثابة ذلك الميل المفطور في الروح الإنسانية" [20]،جعل من العبقرية عنصر جمالي وحدد العبقرية بالفكر .

- **علاقة الفكرة بالشكل عند ‹آلان إميل تشارتير›: (Alain Émile Chartier) (1868 -1951):**

تلك هي الخطوط العريضة لفلسفة ‹ألان› في الفن وربما كان من بعض أفضال هذه الفلسفة على الفن أنها قد ذكرت الفنانين بدور ´ المادة ` في عملية الإبداع، "وأنها قد حرصت على القول بأن قاعدة النشاط الفني هي أن الفنان ´صانع` قبل أن يكون رجل إلهام ومهما كان من دور ´الفكر` في صميم النشاط الفني، فقد أكد لنا ‹ألان› في أكثر من موضع أنه حين تكون ´الفكرة`هي التي تتحكم في ´الشكل` فإننا لانكون بإزاء فن بل بإزاء صناعة فقط ، كذلك إستطاع ‹ألان› أن يظهرها على الصلة الوثيقة التي تجمع بين القيمة الجمالية والقيمة الأخلاقية"[21].

ولا يمكن أن ننسى أن مهمة عالم الجمال الحقيقية إنما هي دراسة طبيعة ´الموضوع الجمالي` لا التوقف عند أنواع الفنون والفروق القائمة بينها، ولئن كان ‹ألان› قد حرص على إبراز أهمية عنصر ´العمل` أو´الصناعة `في النشاط الفني، إلا أنه يحاول تعميق مشكلة الصلة بين الفن من جهة والصناعة من جهة أخرى بل هو إقتصر على القول بأن الفنان صانع أولاً وقبل كل شيء .

خلاصة القول في فلسفة الفن عند ‹ألان› هي الفكرة، فالأفكار تتزاحم في عقل الفنان، وتدفعه إلى إجتياز عالم المادة الجامد وتطويعه، وتحقيق العمل الفني، و´الفكرة` التي تتصل ´بموضوع` العمل الفني هي فكرة عقلية منظمة له ومبدعة فيه، ليست محض خيال أو عاطفة، إنما تستند بقانون معين وعلى هذا النحو تبدو الطبيعة جميلة في ظروف خاصة عندما يتأملها أصحاب العقول السوية، والإدارة القوية، وهكذا يصبح العقل والنظام والإدارة هم أساس الإبداع الفني، فرمز الفكر هو النظام والتناسق وسند قواعد والقوانين، وهكذا أصبح

‹ألان› يقرب بين الفن والصناعة والجمال عندما ألغى عنصر الإلهام وسبق الفكرة على العمل.

- **عنصر الفكر في نظرية ‹ديكارت› (René Descartes)(1596-1650):**

"ويذهب ‹ديكارت› في عرض نظريته في الجمال إلى أن جميع الفنون تنطوي على لذة (عقلية وحسية) وهي لاتحدث إلا إذا توافر شعور الملائمة و´الإنسجام` بين عنصري ´الحس` و´العقل` معاً ومن ثم يجب أن يتفق موضوع الجمال مع عضو الحس، كما يطابق العقل في نفس اللحظة"[22]،ويتفق موضوع مشاركة العقل مع الحواس في إحداث الشعور باللذة الجمالية مع موقف ‹ديكارت› من مسألة الإتحاد بين جوهري النفس والجسد .

"ولوجود المشاعر الذاتية النسبية بين الأفراد وشتان مابين فكر بذاته الخالص و آخر يستند إلى الحواس وهي ´مصدر التغير` واللبس إنه التمايز بين البداهة والوضوح بين الغموض واللبس أي بين الخضوع المطلق لأحكام الذهن وبين حالة يشترك فيها مع الحواس فيفسح المجال لمؤشرات النفس وأهوائها" [23] ،وهذا يدل على أن الأشياء التي يمسها القلب كإحساس والعاطفة والشعور واللذة الجمالية تكون ´عناصر متغيرة` عكس ما يكون من ´العقل` .

إذن نظرية ‹ديكارت› تقوم على عرض موضوع الجمال في الربط بين الذهن(الفكر) والحواس ، وإيمانه باللذة الجمالية الصادرة عن ´الإنسجام والتوازن` بين أعضاء الحواس وأفعال الذهن وأن أحكام الجمال وتقييماته تتسم بالطابع النسبي .

- **العقل كعنصر جمالي عند مالبرانش (Melebranche1715-1638) :**

والعقل يتضمن معان أو نماذج روحية للأشياء نميز من "بينها علاقات مقدار كمال تتعلق الأولى بالعلم النظري ، أما الثانية فتتمثل في النظام" [24] ،والنظام يعني الفكر .

- **الفكرة كعنصر جمالي لدى ريمون بايير (Raymond Bayer)(1898-1959):**

"ومعنى هذا أن مهمة عالم الجمال إنما تنحصر في مطاردة ´الفكرة`وإقتفاء أثرها، ولكن بالإنتقال من علامة إلى علامة، والتدرج من أمارة إلى أمارة، ومادتم الفن يقتضي بالضرورة أن تجيء ´الفكرة` فتتسجل، أو تتمثل على شكل موضوع ´ثابت`لا سبيل إلى محوه، فلا بد للعين من أن تتابع الآثار المسجلة بدلاً من التحليق وراء الأفكار الضالة الشاردة والعين الخبيرة الفاحصة إنما هي تلك التي تستشف من خلال لغة اليد أفكار الذهن فتتدرب عن هذه الطريق على قراءة تلك اللغة النوعية الخاصة التي تنطق بها تأثيرات الموضوع الجمالي"[25].

وبعبارة أخرى يمكننا أن نقول إن الفنان ينطلق دائماً من فكرة ولو أن هذه الفكرة لاتمثل بالضرورة تصوراً عقلياً واضحاً أو صورة ذهنية دقيقة محددة ولو كان لدى الفنان منذ البداية وعي ذهني واضح محدد بما سيكون عليه عمله الفني بعد تحققه، لكان العمل الفني نفسه شيئاً جاهزاً معداً من ذي قبل، وبالتالي لما وجد الفنان أية صعوبة في تنفيذ عمله ولما كانت هناك أية مفاجآت او نتائج غير متوقعة في الإنتاج المتحقق ولكن الواقع نفسه شاهد على أن العمل الفني كثيراً مايكون مفاجأة يدهش لها الفنان نفسه وكأنه المتفرج الأول الذي يعجب لإنتاجه الفني لأنه ماكان يحلم هو نفسه بالنتيجة المحققة .

فإن الفكرة لاتكون حقيقية فحسب بل جميلة كذلك، على هذا النحو يتحدد الجميل بأنه التظاهر الحسي´للفكرة`، ولا يحتفظ الحسي والموضوعية بأي إستقلال في الجمال، فالمفروض بهما كليهما أن يتخليا عن مباشرية كينونتهما، وذلك ماداما مطروحين على أنهما وجود وموضوعية للمفهوم على أنهما واقع يمثل في موضوعيته، المفهوم من حيث أنه لايشكل وهذه الموضوعية سوى كل واحد، أي على أنهما تظاهر للمفهوم، إذن ملكة الفهم، ´الفكرة` ´فالموضوعية` هم سمات يرتكز عليها علم الجمال

ولو لخصنا ماسبق لوجدنا الجمال هو الفكرة المتصورة كوحدة مباشرة بين المفهوم وواقعه ، وذلك بقدر ماتتجلى هذه الوحدة في تظاهرها الواقعي والحسي .

- **الفكرة لدى الفيلسوف الجزائري عبد القادر فيدوح (1948-إلى الآن):**

وصف الناقد الأدبي والفيلسوف الجزائري ‹عبد القادر فيدوح› وهو يصف الفكر الجمالي العربي "ونتيجة لذلك فإن ديانتهم القديمة قبل مجيء الإسلام كانت تحمل بعض البذور الفكرية التي تطبعها ظاهرة الصورة الجمالية على حد ماجاء به أحد الفلاسفة من أن الفلسفة تنشأ دائماً في أحضان الدين أو على أثر الإيمان بالدين، لذلك فقد كان الدين عاملاً مهما في إدخال ´الأفكار` الملائمة لغاية الشعور بالجمال إلى عقول الناس حتى أصبح هناك تداخل بين النظرة الكونية الدينية والنظرة الكونية الفلسفية التي تلتقي في صميم خبرتها العادية بالتذوق للأعمال الفنية والإنفعال لبعض المؤثرات الجمالية"[26].

خاتمة :

يعتبر ´الفكر `عنصر جمالياً في الفن بينما إذا كان الفكر علمياً فيتحدد حسب مضمونه وقيمه، أي يحدد مقتضاه المضمون والقيم التي بني عليها الفكر، نقصد بالقيم الجمالية كالمنفعة والأخلاق وغيرها، وعلى هذا فإن العملية الجمالية لاتكتمل مفهومها إلا بإكتمال وجود عناصر الجمال في الملكة الداخلية ونقصد بها العقل كالخيال والفكر والإحساس والعناصر الخارجية التي نجدها في الصورة الخارجية لأي عمل إبداعي مهما يصوره العقل ويسوغه الفكر في شكله النهائي.

نعود إلى ´العقل` لتتضح الدراسة التي قمنا بها في هذا البحث، لنرى أن الفكر عنصر جمالي، فالقارئ لهذه الأسطر يرى في حديثه عن الجمال الخارجي لأي شكل يرى مدى عمق الفكر الجمالي في صناعة الحضارة بمختلف علومها مهما كانت هاته الحضارة متخلفة أو مزدهرة، العمل العبقري عمل مستقل، شأنه شأن ´الجمال الطبيعي` يمتع بشكله دون أن يكون بإمكان الصفة الجذابة جمالياً فيه أن ترجع إلى غاية محددة مفهومياً إن المعنى الجمالي بلا ريب هو عرض للمعنى العملي، إلا أن الأمر يتصل بعرض غير محدد حر أي

لا يخضع لقانون عملي يولِد البعد ّالأخلاقي ّبمناسبة العرض الجمالي وبدون أن يحدده مفهومياً. فهو يراه جمال ثابت لا يتغير .

وقد جرى تلخيص وجهة النظر هذه بالقول أن العمل الفني إبداع من العبقرية من الموهبة وهذه التوكيدات تنطوي على قسط من الحقيقة ،فإبداع العمل الفني يقتضي موهبة هي في أساسها قابلية خاصة، أي هبة محدودة، أما العبقرية فشيء أعم وأشمل، أما الآن فسنكتفي بالتذكير بأن النشاط الفني، بموجب ذلك الرأي لايكون ناجعاً وخلاقاً حقاً إلا إذا كان شعورياً ،على إعتبار أن أي تدخل من قبل وعي المدرك لن يكون له من نتيجة سوى ترنيق (كدر)النشاط الفني وإلحاق الضرر بكمال الأعمال الفنية.

الفكر والجمال هما جوهر الحياة البشرية، فالفكر يمثل العقلانية والتفكير العميق، بينما الجمال يمثل الروحانية والإلهام، يمكن أن يكون الفكر جميلاً في تفكيره وأفكاره، والجمال فكريًا في الإبداع والتعبير، تترابط الفكر والجمال بشكل وثيق في الفنون والأدب والفلسفة، حيث يمكن للفكر أن يثير الجمال وينقله، وكذلك يمكن للجمال أن يلهم الفكر ويثريه، إن توازن الفكر والجمال يشكل أساساً للتجربة الإنسانية الغنية والمثيرة.

قائمة المصادر والمراجع:

[1]– جورج سانتيانا ، الإحساس بالجمال تخطيط لنظرية في علم الجمال ، ت محمد مصطفى بدوي ،المركز القومي للترجمة – القاهرة – مصر ، دط ، 2010، ص (مقدمة) .

[2]– هيجل ، المدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال ، ت جورج طرابيشي،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت – لبنان ، ط 3 ، 1988، ص96 .

[3]– هيجل ، المدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال ، ت جورج طرابيشي،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت – لبنان ، ط 3 ، 1988، ص99 .

4– الربيع ميمون ، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر، دط ،1980 ، ص56.

[5]– فَرْدين قريشي ، تجديد الفكر الديني في إيران دراسة في علم اجتماع المعرفة ،تر علي عباس الموسوي ،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ،بيروت ،ط2، 2017،ص63.

[6]– محمد زكي العشماوي ، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت –لبنان ، د ط، 1980، ص 158.

[7]– مجاهد عبد المنعم مجاهد، فلسفة الفن الجميل، دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة – مصر ، د ط ، دت، ص 38–39 .

[8]– زكريا إبراهيم ، الفنان والإنسان – دراسات في علم الجمال وفلسفة الفن ،الناشر مكتبة غريب– مصر ،دط ،دت،ص 83.

[9] – راوية عبد المنعم عباس،الإنسان الفن والجمال،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية ،ط1 ،2014 ، ص 41.

[10]– مجاهد عبد المنعم مجاهد ، جدل الجمال والإغتراب، دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة ، دط ، دت ، ص138.

[11]– ولترت ستيس ، معنى الجمال نظرية في الأستطيقا ، تر إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ،دط ، 2000،ص 69.

[12]– علي أبو ملحم ،في الجماليات نحو رؤية جديدة إلى فلسفة الفن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت– لبنان ، ط1، 1990 م –1411هـ ،ص 115.

[13]– مجاهد عبد المنعم مجاهد ، جدل الجمال والإغتراب، دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة ، دط ، دت ، ص81.

[14]– رمضان الصباغ، جماليات الفن الإطار الأخلاقي والإجتماعي،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية –مصر ، ط1 ،2003، ص 15.

[15]– محمد زكي العشماوي ، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت –لبنان ، د ط، 1980، ص 74 .

[16]– علي أبو ملحم ،في الجماليات نحو رؤية جديدة إلى فلسفة الفن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت– لبنان ، ط1، 1990 م –1411هـ ،ص 43.

[17]– زكريا إبراهيم ، الفنان والإنسان – دراسات في علم الجمال وفلسفة الفن ،الناشر مكتبة غريب– مصر ،دط ،دت،ص 104.

[18]– جان ماري شيفر ،الفن في عصر الحديث الاستطيقا وفلسفة الفن من القرن الثامن عشر وحتى يومنا هذا،ت فاطمة الجيوش ، منشورات وزارة الثقافة دمشق –سوريا، ط1، 1996، ص 64.

[19]– أوفيسانيكوف، زلوتنيكوف،يولداشيف ، كوزنيتسوفا ،أسس علم الجمال الماركسي اللينينى ، ت جلال الماشطة ، دار الفارابي بيروت، الترجمة الى اللغة العربية دار التقدم – طبع في الإتحاد السوفيتي ، دط ،1981 ، ص 24 .

[20]– رمضان الصباغ، جماليات الفن الإطار الأخلاقي والإجتماعي،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية –مصر ، ط1 ،2003، ص 13.

[21]– زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، الناشر مكتبة مصر – مصر ، د ط ، دت، ص124.

[22]– راوية عبد المنعم عباس،الإنسان الفن والجمال،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية ،ط1 ،2014 ،ص 101 .

[23]– راوية عبد المنعم عباس،الإنسان الفن والجمال،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية ،ط1 ،2014 ،ص 106 .

[24]– راوية عبد المنعم عباس،الإنسان الفن والجمال،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية ،ط1 ،2014 ،ص 141 .

[25]– زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، الناشر مكتبة مصر – مصر ، د ط ، دت، ص303.

[26]– عبدالقادر فيدوح ، الجمالية في الفكر العربي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دط ، 1999 ، ص 29 .